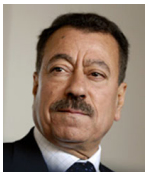
مقالات

# لا تحزنوا.. فالإنجاز عظيم



الثلاثاء 1 يونيو 2010 04:03 م

**كتب: بقلم: عبد الباري عطوان**



عبد الباري عطوان

**من المؤكد أن بنيامين نتنياهو رئيس الوزراء الصهيوني وأفراد حكومته اليمينية المتطرفة، لا يتخيلون حجم الإنجاز الكبير الذي قدموه إلى الشعب الفلسطيني، والأمتين العربية والإسلامية باقترافهم مجزرة سفن قافلة الحرية في عرض البحر المتوسط، وقتل حوالي عشرين من المجاهدين على ظهرها وإصابة العشرات.**

**صحيح أننا خسرنا عشرين شهيدًا معظمهم من الأتراك، ولكننا كسبنا أكثر من سبعين مليونًا من أبناء الشعب التركي إلى جانب القضية المركزية الإسلامية الأولى، وأصبحوا يقفون بصلابة في الخندق الآخر المقابل لإسرائيل.**

**الدماء التركية التي تعانقت مع نظيراتها الجزائرية والفلسطينية وأكثر من خمسين جنسية أخرى من مختلف ألوان الطيف الإسلامي والعالمي، هذه الدماء كانت بمثابة المفجر لصحوة عارمة على طول تركيا وعرضها وقد تدفع بالكثيرين للمطالبة بالثأر لها بالطرق والوسائل كلها.**

**المجازر التي ترتكبها الحكومات الإسرائيلية سواء على الأرض في غزة أو في البحر باعتراض سفن الإغاثة تعادل جهد عشرات السنوات ومئات المليارات التي يمكن أن ينفقها العرب والمسلمون لفضح الوجه الدموي البشع للغطرسة والغرور الإسرائيليين على مستوى العالم بأسره.**

**الفضل كل الفضل يعود إلى مجموعة من المجاهدين قرروا ركوب البحر انتصارًا للمحاصرين المجوعين في قطاع غزة، فهؤلاء المتطوعون المدنيون الذين يتصدون للظلم الإسرائيلي بصناديق الدواء وأكياس الإسمنت، وأكياس الدقيق وعلب الزيت، ويرفضون الرضوخ لأوامر القراصنة الإسرائيليين بالعودة إلى حيث أتوا، حققوا معجزات لم تحققها جيوش عربية جرى إنفاق مئات المليارات من الدولارات على تسليحها وتدريبها وعلفها وتسمينها.**

***

**قافلة الحرية هذه جاءت هدية من الله لنصرة المحاصرين المجوعين في قطاع غزة، وصاعقة ربانية أصابت "إسرائيل" وحلفاءها في مقتل.**

**أولاً:** **فضحت التواطؤ الرسمي العربي مع الحصار المفروض على قطاع غزة، وكسرت كل عمليات التعتيم والتضليل الإعلامي المستمرة، وأعادت القضية الفلسطينية كلها، وليس حصار غزة إلى صدر الأحداث مجددًا.**

**ثانيًا:** **أظهرت ردود الفعل الدولية المدنية والرافضة لهذا التغول الإسرائيلي في مواجهة أناس عزل أن الحكومات العربية، خاصة تلك التي انخرطت في معاهدات سلام مع إسرائيل غير معنية بمأساة المحاصرين أو الشهداء الذين دفعوا حياتهم ثمنًا للفت الأنظار إلى مأساتهم.**

**فالأردن ومصر على سبيل المثال اكتفيا باستدعاء السفير الإسرائيلي في عمان والقاهرة للاحتجاج، تمامًا مثل السويد والنرويج وإسبانيا.**

**ثالثًا:** **لأول مرة نرى المصالحة الفلسطينية أكثر قربًا من أي وقت مضى، فقد أدانت سلطة رام الله المجزرة الإسرائيلية، وأعلنت الحداد ثلاثة أيام تضامنًا مع ضحاياها، وطالبت بعقد جلسة طارئة لمجلس الجامعة، وأخرى لمجلس الأمن الدولي. هذا يعني أن المصالحة الحقيقية يمكن أن تتم على أرضية المقاومة، وليس على أرضية المساومة والمفاوضات العبثية.**

**رابعًا:** **هبطت المجزرة والقرصنة الإسرائيليتان بإسرائيل إلى مستوى القراصنة، مع فارق أساسي وهو أن القراصنة في أعالي البحار لا يمثلون حكومة تدعي أنها الديمقراطية الوحيدة في المنطقة، ورسول قيم الحضارة الغربية، والأكثر من ذلك أن هؤلاء القراصنة تعرضوا هم أنفسهم للقتل وفي أفضل الأحوال للمثول أمام محاكم غربية كمجرمين، ونأمل أن يواجه الإسرائيليون، وخاصة إيهود باراك الذي خطط لها، ونتنياهو الذي أقرها وباركها المصير نفسه، أي المثول أمام المحاكم الدولية كمجرمي حرب.**

**خامسًا:** **جاءت هذه العملية الإجرامية الدموية الإسرائيلية بمثابة عجلة إنقاذ لإيران ولرئيسها أحمدي نجاد، فقد أظهرت للعالم بأسره أن إسرائيل وليس إيران التي تهدد الأمن والسلام العالميين وترتكب جرائم ضد الإنسانية الواحدة تلو الأخرى.**

**سادسًا:** **كان رد فعل الحكومتين البريطانية والأمريكية مخجلاً للغاية، ويشكل وصمة عار في تاريخهما، ويهدد فعلاً أرواح جنودهما في العراق وأفغانستان لانحيازهما الفاضح للمجازر الإسرائيلية، فحكومة بريطانيا التزمت الصمت بينما اكتفت إدارة الرئيس أوباما، التي ترعى العملية السلمية، بالتعبير عن الأسف لسقوط قتلى وجرحى، وقالت إنها تعمل لمعرفة "الملابسات" المحيطة بهذه المأساة.**

**سابعًا:** **المتطوعون الذين كانوا على ظهر السفينة "مرمرة" التركية ومعظمهم من النواب والسياسيين وأعضاء منظمات إنسانية، أظهروا شجاعة نادرة يستحقون عليها التهنئة، عندما رفضوا الاستسلام لقوات الكوماندوز الإسرائيلية التي اقتحمت سفينتهم واعتدت عليهم، وقاوموها برجولة تحسب لهم. فقد كانوا يدافعون عن أنفسهم وكرامتهم، ويتطلعون إلى الشهادة وهم واقفون مثل الرماح.**

***

**دروس كثيرة مستفادة من هذه الواقعة المجيدة، أبرزها أن الإرادة أقوى من كل الأسلحة الحديثة المتقدمة، والمقاومة بأشكالها كافة في مواجهة عدو متغطرس لا يحترم مواثيق أو قوانين هي الطريق الأمثل لتحقيق الأهداف المنشودة في الحرية والاستقلال والعدالة.**

**هذه المجموعة المجاهدة المؤمنة بقيم العدالة المنتصرة للضعفاء المحاصرين المجوعين، قدمت نموذجًا مشرفًا للعالم بأسره بإصرارها على المضي قدمًا في مسيرتها رغم الصعوبات العديدة، ورفضت كل التهديدات وعمليات الترهيب والإرهاب.**

**المجزرة الدموية الاسرائيلية هذه التي استهدفت القافلة وأبطالها، تؤرخ لبدء العد التنازلي لانهيار النظام العنصري الإسرائيلي البغيض، مثلما تؤرخ لنشوء قوة شعبية عربية وإسلامية تتجاوز أنظمة التواطؤ والعجز المفتعل وترسخ لوحدة الشعوب جميعها خلف قضايا الحق والعدل.**

**نقول شكرًا للشعب التركي وقواه الحية، وشكرًا أيضًا للحكومة التركية بقيادة رجب طيب أردوغان ورفيق دربه عبد الله جول على تبنيها لقوافل كسر الحصار، وتسخير موانئها كنقطة انطلاق لها، وهي خطوة لم تقدم عليها الغالبية الساحقة من الحكومات العربية، والكبرى منها على وجه الخصوص.**

**وأخيرًا لا يمكن أن ننسى أو نتناسى الشيخ الرائد رائد صلاح والمطران كبوجي وكل الشرفاء الآخرين، الذين واجهوا الرصاص الإسرائيلي بصدورهم العامرة بالإيمان ولم ترهبهم الطائرات والقنابل والرصاص الحي، فهؤلاء رموز الإنسانية قبل أن يكونوا رموز الأمة، ونأمل أن يكونوا بخير لكي يواصلوا المسيرة ويعيدون الكرة مرة أخرى.**

**أبناء غزة المحاصرون، الذين ابتدعوا القنابل البشرية، وصنّعوا الصواريخ، ودخلوا التاريخ بهندسة الأنفاق لكسر الحاصر، والوصول إلى قلب المستوطنات والقواعد العسكرية الإسرائيلية، هؤلاء الذين اصطفوا على طول الشاطئ لاستقبال أبطال القافلة وسفنهم سيزدادون إيمانًا بعدالة قضيتهم التي ليست كسر الحصار فقط، وإنما العودة إلى حيفا ويافا والمجدل والبطاني وعكا والفالوجة والقدس وكل بقعة في فلسطين، هؤلاء أدركوا أنهم لا يقفون وحدهم، وأن حلمهم هذا بات تحقيقه وشيكًا جدًّا.**

**----------**

*** (القدس العربي) في 1/6/2010م.**